أواخر القرن السادس[1] ، وأخذت تعوضه نقول عن أبي الحجاج يوسف بن عمر مؤرخ البلاط الموحدي الجديد[2].

ومن دون شك فقد كان لابن صاحب الصلاة تلامذة رووا عنه ، فإن شخصية كشخصيته لا يمكن أن تنصرف ، دون أن تكون لها مدرسة ، وقد عرفنا في جملة الذين أخذوا عن أبي مروان الباجي أبو محمد عبد الله بن مغيث الأنصاري القرطبي المعروف بأبي الصفار[3] (516 — 576) وكذا أبو الحكم عبد الرحمن بن حجاج[4] .

ويظهر من خلال الكتاب أن ابن صاحب الصلاة كان يتصف بأخلاق كريمة طيبة وهو في الأغلب[5] لا يتناول الدول التي سبقت حكم الموحدين بشتائم أو نقائص ، وطبيعي أن يكون هذا نتيجة تدينه وتقواه ، أما عقائده فيتأكد أنه كان يعتنق مذهب الموحدين في الاعتماد على الأصول من الكتاب والسنة ونبذ كتب الفروع[6] ، ولم يخف عنا حفظه لمدونات المهدي ، وروايته لكتاب «أعز ما يطلب» .

(1) لقد كنت حررت كل هذا ، ثم وقفت على مقالة للأب ملتشور انطونيا حول ابن صاحب الصلاة ، وقد شجعني جداً أن الأب ملتشور ـ وقد اطلع على الكتاب ـ زيف ما صدر عن جل رجال الاستشراق Melchor : Sevilla p. 25 — 38

(2) راجع النبذة اليسيرة في تواريخ المغرب التي كتبها الأستاذ عبد الكريم ابن الحسني تصديراً لاتحاف النقب ابن زيدان المطبوع بالرباط سنة 1342 صفحة 1 — 8 ، وقد أثنى على هذه النبذة الأمير شكيب ارسلان وخصصها بمقال في تقريظه لهذا الكتاب ، كان نشره بجريدة كوكب الشرق ، والشيء بالشيء يذكر ، فلقد وجدت بالصدفة النسخة التي أهداها النقيب ابن زيدان بخطه عام 1349 للأمير شكيب أرسلان عند الأستاذ قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد عندما حللت بها ، ونسيباً للحديث عن أبي الحجاج الأشبيلي ، أذكر انني وقفت على لائحة في معرض المخطوطات بالرباط (25 — 10 — 62) تضمنت مؤلفات تاريخية هامة وكان من بينها تاريخ الموحدين لأبي الحجاج هذا

(3) ابن الأبار : التكملة : سنة 1962 رقم 23 — 17 .

(4) ابن عذاري : البيان المغرب صفحة 201 ـ التنبكتي : نيل الابتهاج .

(5) نقول في الأغلب لأنه ـ وهذا قليل ـ لم يفته أن عرض بتكاسل الأولين وتهالكهم في الملذات : راجع صفحة 320 — 331

(6) المعجب ص 278 — 279 ـ القرطاس ثان ص 154 ـ ابن خلدون سادس 471 الاستقصا ثان ص 112

ثم الى جانب آثاره النثرية ـ التي سنعرض لها ـ له آثار في الشعر ، وهو يتحدث في صراحة عن مذهبه في الشعر وأنه «على رأي عمر بن الخطاب »[1] أي أنه : « لا يتبع حوشي الكلام ولا يعاظل من المنطق ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه » . وقد ذكر هذا بمناسبة تقدمه ـ ضمن الشعراء ـ بقصيدة في جبل طارق عند اجتماع السيد أبي حفص بأخيه أبي سعيد سنة 560 .

وهو ـ وإن لم يثبت هذا الشعر مع الأسف ـ قد احتفظ لنا بنموذج من نظمه ، وذلك عندما غادر غرناطة الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي إبراهيم إلى مراكش فقد نطق بقطعة شعر يحن فيها إلى الأيام التي كانت تجمعه بوالي غرناطة . وهي ليست طويلة إذ لا تتعدى تسعة أبيات[2] ، ولذلك فإن الحكم على شاعرية الرجل من خلالها يكون حكماً غير صواب ، ومع هذا فهو يعتبر من الشعراء الذين يتأثرون بموازين ديوان الحماسة ، ونفس شعرائها كذلك ، ولقد تحسبه الصمة[3] بن عبد الله حينما يقول في هذه القطعة :

طمعتُ بنفسي أن أرد دموعها فمهما زجرتُ العين أسلتا معا !

ويظهر أنه استمر في إنشاء الشعر ولو أن بضاعته فيه مزجاة بل إن شعره أحد يُقدَّم مع شعر ابن طفيل وانتاج ابن الجد ، وقد ساق له ابن عذاري طرفاً من قطعة شعر قيمة بالنسبة لشعره المتقدم في تهنئة السيد أبي إسحاق بمناسبة فتح قفصة سنة 576 [4] ، لكنها هي الأخرى ليست مما يجعلنا نعتبر ابن صاحب

(1) أنظر صفحة 110 من المن بالإمامة .

الأصفهاني : الأغاني طبعة بيروت جزء 9 ص 295 .

(2) راجع صفحة 153 من المن بالإمامة .

(3) يقول الصمة بن عبد الله في باب النسيب من الحماسة :

سكبت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معاً !

(4) قال أبو مروان في مطلعها

فتح يفوت مدارك الأوهام ويعجز الاحصاء بالأقلام

الى أن يقول :

وافت كما ابتسم الأمان لخائف واهلَّ إثر المحل سكب غمام

الصلاة في عداد الشعراء المبرزين على أننا لا ننسى أن ابن الآبار في الحلة السيراء لم يفته أن ينتقد[1] الذوق الأدبي لدى ابن صاحب الصلاة .

مؤلفاته :

وإذا كانت قيمة المرء رهينةً بآثاره فإن آثار عبد الملك كانت ـ على قلتها ـ في منتهى ما يأمله الإنسان من شخص تمكن من الامتزاج بصانعي تاريخ الغرب الإسلامي في القرون الوسطى ، وقد رددت المصادر القديمة أن له كتابين يتناولان معاً موضوع التاريخ الأول ثورة المريدين ، والثاني : المن بالإمامة[2] .

ثورة المريدين :

في كثير من مقاطع السفر الثاني من كتاب (المن بالإمامة)، وخاصة عندما يتعلق الأمر بحديث حول المتمردين على الحكم، أقول في سبع[3] مرات متتابعة أشار لكتاب له ألَّفه قبل (المن بالإمامة) ذلك كتاب (ثورة المريدين)، وقد نقرأ في المخطوط (تاريخ المريدين)[4] أو (ثورة المريدين) فما هو كتاب ثورة المريدين؟

---

(1) قال ابن الآبار في الحلة السيراء لدى سوقه لبيتين من الشعر :

(وزنجيٌّ ألمَّ بغصن نور ... وقد رفعت لنا بنت الكروم)

(فقال فتى من الندماء صفه ... فقلت الليل أقبل بالنجوم!)

قال : وغلط أبو مروان ابن صاحب الصلاة فزعم ان بعض الأمراء قالهما في حبشي بيده شمعة ولا يليق هذا التشبيه بذلك . انظر ص 235 من الحلة السيراء .

(2) ينقل المقري مرة عن ابن صاحب الصلاة في كتاب (تاريخ الموحدين) ويذكر مرة أخرى أن لابن صاحب الصلاة تاريخاً في الدولة اللمتونية ، وإني على مثل اليقين من أن المقصود بهذا الكتاب الثاني هو (ثورة المريدين) وإن تحريفاً وقع للناسخين بدليل أن أحداً من المؤرخين ممن استمدوا من ابن صاحب الصلاة لم ينقل عنه في تاريخ اللمتونيين وكيف وهو ينعتهم بالمجسمة الحلل الموشية صفحة 85 . المقري : نفح الطيب مطبعة السعادة ثالث ص 100 ورابع ص 172 .

(3) انظر صفحة 3-20-54-230-249-271 من المن بالإمامة .

(4) يرى بعض الباحثين أن الصواب ربما كان هو المرتدين بالتاء بدل الياء ، نظراً لكون المؤلف يتحدث عن قوم خرجوا عن (الأمر العزيز) و (ارتدوا) عن دعوة الموحدين ، هذا الى ما ورد في ثنايا الكتاب (صفحة 6 — 13 — 14 — 46 — 167 — 223 — 278) مما يفهم منه نعت =

لقد شاهدنا في أعقاب دولة المرابطين نشوب الفتن في كل الجهات ، لكن أبرز ما يلفت أنظار المتتبعين للتاريخ ظهور (طائفة دينية) خاصة تستشعر التقشف والتزهد ، وقد كان زعيم هذه الطائفة أبا العباس أحمد بن قسي[1] الذي استطاع بفضل دهائه وذكائه أن يجمع حوله أنصاراً آمنوا بأفكاره ، ولم يلبث أن أخذ يزاول تدريس كتب أبي حامد الغزالي بأشبيلية نفسها واتخذ من تلاميذه ورواده هيئة جعلها أركان حزبه ، وتسمى بالإمام ، ولما أهلت سنة تسع وثلاثين وخمس مائة (4 يوليه 1144) أشار على أصحابه «المريدين»[2] أن يسيروا مع ابن

= الخارجين عن الطاعة بالردة والمروق ، سيما أيضاً وقد ورد في رسائل المهدي في حق خصومه هذا النعت : المرتدين والمجسمين ، وقد شجع على اعتقاد هذا إغفال الناسخ ـ أو سقوط ـ نقط الحرف الذي يلي الراء في صفحة 13 من كتاب ابن صاحب الصلاة . وإن الذي يحملني أجنح الى أن القصد هو المريدون لا المرتدون هو :

أولاً : ما يوجد في باقي أجزاء الكتاب من نقط الحرف الذي يلي الراء من تحت .

ثانياً : ان المصدرين الوحيدين اللذين رددا ذكر هذا الكتاب وهما الحلة السيراء لابن الآبار ، والذيل والتكملة لابن عبد الملك ، كلٌّ منهما نجده يذكر المريدين وليس المرتدين ، وليس يكفي موقف الموحدين من المرابطين حجة لقراءته على النحو الذي يراه اولئك الفضلاء ، فقد يكون ابن صاحب الصلاة . وهذا قريب من الواقع ـ ألف كتابه (ثورة المريدين) في ظروف متقدمة كان فيها بعيداً عن كل مؤثر ، وإنه كان يحكي فعلاً عن طائفة المريدين التي تزعمها ابن قسي ، وليس بغريب أن يتعرض المؤلف في أثناء حديثه عن هؤلاء المريدين لبعض المناصين والاستظهاريين من أمثال ابن همشك وابن مردنيش .

البيذق : صفحة (2) ـ الحلة السيراء مخطوط بالاسكوريال رقم 1694 ـ ورقة 147 ب 163 أ ـ ابن عبد الملك : الذيل والتكملة مخطوط مصور في الخزانة العامة الرباط رقم D 2646 ورقة 14

الطباع : الحلة السيراء ص 70 .

(1) نعت المراكشي أبا العباس هذا بأنه « صاحب حيل ورب شعوذة » وإنه الى جانب هذا كان يتعاطى صنعة البيان ، وينتحل طرق البلاغة لكن ابن خلدون لم يضف شيئاً على الإخبار بأنه أي ابن قسي أجاز الى المغرب عند ظهور الموحدين لتقديم طاعته ، وينقل أشباخ إن ابن قسي من أصل قوطي وإنه كان أول الأمر تاجراً ثم حدثته نفسه بالتشبه بالرسول فوهب أملاكه واعتزل الحياة .

البيذق ص 125 ، المراكشي : المعجب طبعة مصر ص 212 — 213 ـ ابن خلدون سادس ص 485 ، أشباخ : تاريخ الأندلس ص 206 — 208 .

(2) قبل أن يعطي ابن قسي لقب (المريدين) لأتباعه نجد أن اللفظ في القديم استعمل لتعيين الصوفية الذين كانوا يلقبون بأهل الارادة وفي كتبهم بيان لآداب المريدين .

القابلة[1] كاتبه الخاص الى قلعة ميرتلة[2] في وقت خاص رسمه لهم ، ثم سقطت في يده يابرة[3] ، وشلب[4] . . وكان أن توالت الحال بابن قسي الى أن هاجر الى الموحدين ووصلهم بمدينة سلا متبرئاً من دعاويه[5] وتائباً مما قدمت يداه ثم انصرف في شهر المحرم من سنة إحدى وأربعين وخمسمائة (يونيه 1146) صحبة الجيش الموحدي الذي افتتح طريف[6] ، ولما فتحت مدينة شلب من جديد ترك ابن قسي عليها والياً بيد أنه لم يلبث أن تنكر لتعهداته للموحدين وواصل ابن الرنك (Enriquez)[7] صاحب قلمرية ، وهنا ثار عليه أهل شلب وفتكوا به في قصر الشراجب في « قصة طويلة »[8] وأعلنوا بدعوة المريدين ، وقد كان من كتابه أبو عمر أحمد بن حربون[9] ، وكان من أنصاره كذلك أبو محمد سيد راي بن وزير الثائر[10] بيابرة وغير هؤلاء ممن نصبوا أنفسهم ولاة هنا

Dozy : Recherchs : P 376

Asin Palacios : Aben Masarra y Suescuela pp 109 — 110

(1) هو محمد بن يحيى الشلطيشي ، وقد كان يسميه أبو العباس بالمصطفى لاختصاصه بكتابته واطلاعه على أموره لكنه قتله بعد ذلك . ابن الأبار : الحلة السيراء نشر دوزي ص 119 ـ أشباخ ص 207

(2) ميرتلة (Mértola) قال عنها ياقوت : انها احدى الحصون وأمنعها وتقع على نهر آنا : المعجم

(3) يابرة (Evora) تقع شمال باجة : الروض المعطار ص 197

(4) شلب Silves وتقع على مقربة من شاطىء المحيط الأطلسي غربي جنوب باجة ، الروض المعطار ص 106

(5) على هذا اقتصر ابن خلدون (سادس) ص 485

(6) جزيرة طريف (Tarifa) أول نقطة من جزيرة الأندلس تسامت قصر مصمودة من العدوة المغربية : 225 — 224 , Huici

(7) هو ألفونسو هنريكيز (Alfonso Enriquez) وقد تسميه بعض المصادر ابن الرنق أو صاحب قلمرية (Coimbra) عاصمة البرتغال ـ المعجب ص 320 ابن الخطيب : الأعمال ص 251 ـ أشباخ : تاريخ الأندلس ص 242

(8) ابن الأبار : الحلة السيراء ص 200

(9) يعتبر ابن حربون هذا من الشعراء الذين أورد لهم ابن صاحب الصلاة عدة قصائد : ابن الأبار ـ التكملة كوديرا ـ رقم 1427 : الحلة السيراء ص 200 — 201 ـ صفوان ابن ادريس : زاد المسافر ص 89 ـ المراكشي : المعجب ص 293 — 295 ـ ابن عذاري ص 46

(10) يعتبر ابن وزير هذا من الرواة الذين اعتمد عليهم ابن صاحب الصلاة في كتابه المن بالإمامة وقد ـ

وهناك ، فهذه المرحلة « القلقة » من تاريخ الأندلس هي التي عالجها ابن صاحب الصلاة في كتابه (ثورة المريدين) وأغلب ظننا أن المؤلف كان في بداية الأمر ينوي أن يقصر حديثه على هذا الكتاب ، لكنه وقد تمكنت قدمه واتسعت آفاقه طمع الى تدوين تاريخ شامل عام للدولة الموحدية ـ وخاصة أبا يعقوب ـ فأمسى (ثورة المريدين) كمقدمة وطليعة . . . ومن المؤسف حقاً أن يلقى (ثورة المريدين) نفس المصير الذي لقيه السفر الأول والثالث من كتاب المن بالإمامة ومع أننا كنا نعلم من خلال السطور التي ردد فيها ابن صاحب الصلاة اسم كتابه (ثورة المريدين) ، كنا نعلم فحوى الكتاب وموضوعه لكنها كانت معرفة قاصرة رغم كل حدس ، وأن الفضل كل الفضل يرجع لابن الأبار في كتابه (الحلة السيراء) وابن عبد الملك في كتابه (الذيل والتكملة) كما تقدم ، فهما اللذان أماطا اللثام عن الكتاب المفقود وأعطيا وخاصة الأول فكرةً تقريبية[1] عن محتواه وإن كان هذا يُحيلُ عليه في بعض التفصيلات التي كان يعتقدها غير ضرورية . . . ومن دون ما شك فإن كتاب (ثورة المريدين)[2] تضمن عدة آثار أدبية مما صدر عن المريدين سواء في النصرة لمذهبهم أو في موضوع تبادل العواطف فيما بينهم أو في آدابهم كذلك[3] .

لكن الكتاب الذي لمسنا مواضيعه ، وأستطعنا أن نقف على أساليبه

= استسلم الى الموحدين وحضر معهم عدة حملات : الحلة السيراء 202 — 239 ـ أشباخ 207

(1) نقول تقريبية لأن هناك عناصر أخرى عالجها تاريخ ثورة المريدين ولم يعرض لها ابن الأبار ، فقد تحدث الكتاب عن كتاب مفتعل من سيد رأي بن وزير كتبه كل من القاضي أخيل بن أدريس ووالي قرطبة عبد الرحمن بن تيجيت حينما حاصر ابن مردنيش قرطبة سنة 554 ، وتحدث عن غدر أصحاب ابن همشك بمدينة قرمونة سنة 555 ، كما تحدث عن موقعة مرج الرقاد على مقربة من غرناطة وأسر الموحدين من قبل ابن همشك ، وتحدث تاريخ المريدين عن حصار بطيرة من قبل الموحدين سنة 563 وأخيراً عن قتل ابن مردنيش لابن صاحب الصلاة الغرناطي جوعاً : انظر صفحة 3 — 20 — 54 — 230 — 249 — 271 من المن بالإمامة

(2) لا ننسى أن نذكر ان هناك كتاباً بعنوان (ثورة المريدين) بتقديم الراء على الواو لأبي الوليد اسماعيل بن عمر الملقب بالشواش ، المتوفى بمراكش سنة 569 : السيوطي بغية الوعاة طبعة 1326 ص 16

(3) الحلة السيراء ص 200 — 201 — 205 — 206 — 207 — 223

ومناهجه هو السفر الثاني من كتاب (المن بالإمامة) الذي عالج فيه فترة هامة من تاريخ الموحدين من سنة 554 الى سنة 659 [1] .

وأغلب الظن أن ابن الأبار في «التكملة لكتاب الصلة» يعني بقوله : «صاحب التاريخ» بالإضافة الى «كتاب ثورة المريدين» (كتاب المن بالإمامة)[2] كذلك .

وقد صرح ابن أبي زرع في بعض المقاطع مع القرطاس بتعيين اسم الكتاب ذاكراً أنه (كتاب المن بالإمامة)[3] . أما المقري في حديثه عن ابن صاحب الصلاة فقد سماه تارة باسم (تاريخ الموحدين) ولكنه في معرض الحديث عن التواريخ ذكره باسم (تاريخ الدولة اللمتونية)[4] .

وإذا كنا نجهل الأسباب التي دعته الى تأليف كتاب «ثورة المريدين» فإننا على علم من الحافز الذي جعله يقوم بتدوين كتاب المن بالإمامة . . . فقد شعر بمناسبة حديثه عن أحد الاستقبالات التي شرفه بها الخليفة أبو يعقوب والتي أغدق فيها عليه من خيراته وعداته شعر بأن الواجب يفرض عليه ان «يدوّن أخبار ابي يعقوب الخليفة الهمام»[5] . وأنت تشعر من خلال هذا السفر الذي بين أيدينا وبما بقي من حياة أبي يعقوب في السفر الثالث أن الأسفار الثلاثة كانت في الواقع على شرف أبي يعقوب[6]

(1) يذكر كاباتكوس ان الكتاب يستمر في سرد الأحداث الى سنة 580 وهو تساهل منه .

(2) ابن الأبار : كتاب التكملة ، المجلد الثاني ص 620 رقم 1726

(3) ابن أبي زرع : الأنس المطرب ـ نشر محمد الهاشمي الفيلالي طبعة الرباط 1936 (ثاني) ص 122 ـ عندما قال : والصحيح في بيعة المهدي ووفاته ما ذكره ابن صاحب الصلاة في كتابه (المن بالإمامة) وكذا في طبعة فاس ص 127

(4) سلف أن ذكرت ان ابن صاحب الصلاة ليس له مؤلف في تاريخ الدولة اللمتونية ، وإنما ـ كما أعتقد ـ وقع تحريف للناسخين وإنهم عوض ان يقولوا الدولة الموحدية ، أو (المريدين) مثلاً قالوا (اللمتونية) اللهم إذا كان المقري يقصد حديث ابن صاحب الصلاة عن آخر ايام اللمتونيين الذي أثاره ـ دون شك ـ عرضاً فقط في مؤلفه ثورة المريدين .

(5) انظر المن بالإمامة صفحة 289

(6) يذكر ابن عبد الملك أن ابن صاحب الصلاة صنف تاريخ دولة عبد المؤمن ومن أدرك بحياته من بنيه

وإن أبرز ما يلفت النظر هذا العنوان الطويل الذي اختاره المؤلف لكتابه بعد ذلك العنوان القصير والخفيف الذي عرفنا به (ثورة المريدين) فهو «كتاب تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين ، وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وأخير[1] الخلفاء الراشدين» .

هكذا بهذا الطول يعنون الكتاب ، وهو لذلك يعطي نظرة على محتوياته كلها ، ولا يحتاج الى التنبيه على ما في هذه التسمية من تلميح صريح الى الآية الشريفة : ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ ، وما في هذا الاقتباس من إشارة للمقبية[2] التي يُضفيها أنصار الموحدين على دولتهم ، ومن هذا العنوان يتأكد أن السفر الأول من كتاب المن كان مقدمة فقط تناول فيها المؤلف ظهور الإمام المهدي كما يتأكد أن السفر الثالث تناول فيه خاتمة حياة أبي يعقوب .

المخطوط في أكسفورد :

وهذا السفر لا توجد منه ـ على ما في علمنا ـ إلا نسخة تعتبر الوحيدة في العالم كله ، وهي ضمن المخطوطات النفيسة التي تضمُّها مكتبة البودليان بأكسفورد : وقفت عليها بنفسها أثناء رحلة خاصة[3] وهي تحمل اسم ورقم

(1) هنا كشط في أصل المخطوط والراجح ان الأصل : (وأخير) ويعني بالخلفاء الراشدين الحكام من بني عبد المؤمن لا الخلفاء الراشدين الأولين .

(2) إن الذي يدرس تاريخ الموحدين سيقف دون شك وبصفة مستمرة على ما يشعر «بالقداسة» التي يريد رجال الدولة أن تكون لحكومتهم ، فهم كثيراً ما يتشبهون بالرسول في تصرفاته وفي أعماله ، وكثيراً ما يحاولون في بعض الآيات والأحاديث أن تكون مصداقاً عليهم وهم في نظام الوحدات لم يخرجوا كذلك عن نظام أصحاب رسول الله على العموم ، ثم ان الذين يبايعون منهم خلفاء يحملون لقب امراء المؤمنين ، لقب سادة .

(3) توجد بالخزانة العامة بالرباط نسخة مصورة من هذا المخطوط تحت رقم 2649 (د) وقد كتب عنها في السجل المحفوظ بالخزانة بخط الأستاذ ابراهيم الكتاني رئيس قسم المخطوطات : «عن ميكرو فلم الاستاذ هويسي الأسباني المأخوذ عن النسخة الفريدة بلندرة ، وقد أخذت صور الميكرو فيلم المشار اليه بتاريخ 20 ماير 1960 ، وقد أخبرني الأستاذ هويسي انه بعث بهذا الشريط حوالي»

(Marsh 433. catal d'uri No 758) وتتألف من عشرين كراسة طبقاً للرقم المرسوم على اللوحة الأولى بالخط الفاسي[1]: ست عشرة كراسة من عشرة أوراق، والكراسة الخامسة والسابعة من ثمانية أوراق، والسادسة من اثني عشرة ورقة، والعشرون من ست: تلك أربع وتسعون ومائة ورقة (388 صفحة) التي يتألف منها المخطوط[2]، وهذا العدد قد رسم أيضاً على اللوحة الأخيرة بالقلم الفاسي وإن كان قد كشط جله، بيد أنه في استطاعتك أن تقرأ بدايته (سر لح صى) وهو مكتوب على الورق وبنفس المداد الذي كتبت به مخطوطات العصر الوسيط[3]، مسطرة الورقة 29 على 19 سانتيمتراً وتحتوي الورقة على تسعة عشر سطراً متى لم تتضمن عنواناً نادراً أو طويلاً[4]، والمخطوط يتمتع بسلامة

* سنة 1956 ـ 1957 استجابة لرغبة أبداها الاستاذ دي حياكمو الأستاذ انداك بمعهد الدروس العليا وذلك لتزود بها خزانة المعهد المذكور، فعلى هذا الشريط، وتلك النسخة المصورة اعتمدتُ في خطواتي الأولى، بيد اني تأكدت ان الاعتماد عليها لا يكفي، ولذلك رحلت الى أكسفورد والاسكوريال في شهر مارس وابريل من سنة 1962.

وأغتنم هذه الفرصة لأجدد الشكر لسمو الأمير مولاي الحسن بن المهدي سفير المغرب بانجلترا، وسعادة الدكتور مولاي أحمد العراقي سفيرنا في اسبانيا

(1) يعني بالخط الفاسي أشكال علنها اصطلح علماء فاس لكتابة الأرقام بين الأوساط المثقفة حتى لا يستطيع أحد التدليس فيها، وقد كثر استعمالها في الوثائق الوقفية بالمغرب، وخاصة بفاس وتصدى للتأليف فيها جماعة من الباحثين:

سكيرج: إرشاد المتعلم والناسي في أشكال القلم الفاسي:

E. Viala: le Mecanisme du partage des successions en droit musulman.

Dr. Renaud: L'enseignement Des Sciences Exactes au Maroc. Hespéris 1932, tome XIV, p 7

التازي: الأرقام العربية. مجلة التربية الوطنية أبريل 1961 صفحة 45 - 46 - 47 - 48 دعوة الحق: نونبر 1971.

(2) كتب عن المخطوط المصور أنه يحتوي على 417 ورقة، والحقيقة أن بعض الصفحات المصورة فيه مكررة: راجع نسخة الخزانة العامة وما كتب عليها

(3) يذكر كاتانكوس أن هذه النسخة كتبت أواسط القرن السادس عشر (حوالي 956 هـ) ولا أدري مستنده في ذلك، وفي اعتقادي انه مجرد ادعاء.

(4) تمتاز ابن صاحب الصلاة بعناوينه النادرة والطويلة وقد تصل أحياناً الى بضعة سطور. أنظر مثلاً صفحة 70، وصفحة 260، 266.

جيدة ويحتفظ به عناية الاحتفاظ باستثناء الورقة الأولى كما هي العادة في المخطوطات، وباستثناء ص 23 (الورقة 12 أ) المتآكلة من يمينها و ص 24 (الورقة 12 ب) المتآكلة من شمالها، وباستثناء الخروم المقلقة التي لحقت بعض الورقات فكانت ـ في الأشرطة المصورة بصفة خاصة ـ تدلس على القارىء: لأخذها بالتصوير ورقة مخرومة على ورقة أخرى ـ دون حاجز ـ فتملأ حروف السفلى فراغ التي قبلها ويقع اللبس والالتباس[1].

ولا يفوتنا أن ننبه الى أنه وقع عند تجليد المخطوط تساهل يستحق التعقيب، فقد تقدم عن محله من الكراسة السابعة ـ وهي ذات ثمان ورقات كما علمنا ـ أقول تقدمت الورقات الست الأولى: 61 - 62 - 63 - 64 - 65 - 66 التي أصبحت تحمل رقم 56 - 57 - 58 - 59 - 60 - 61. وهكذا احتلت هذه الستة مكان الورقات الخمس المكملة للكراسة السادسة. ووردت هذه «الخمس» مباشرة بعد الستة المتسرعة، ولكنها بعد أن كانت تحمل في الحقيقة رقم 56-57-58-59-50 أمست ذات رقم 62-63-64-65-66. ثم بعد هذا تأتي الورقتان الباقيتان من الكراسة السابعة اللتان تحملان طبعاً رقم 67-68 ومن هنا يسترجع المخطوط صوابه، ودليلنا على العطب أن كنا نحتاج إلى دليل أكثر من تنافر المعنى والسياق واختلال توقيت التاريخ ـ أن جل[2] الكراسات تحمل في أعلاها بخط ـ قد يصعب تمييزه ـ ما يشير إلى عدد الكراسات.

ومن العجب أن بعض المستشرقين كدوزي[3] وويسي[4] ممن علقوا على

(1) كما وقع مثلاً بصفحة 17 و 18 وكما وقع كذلك في صفحة 429 حيث يقرأ عوض حصن قطنيانه: قطميانه بإضافة الميم التي هي في الواقع نثبة وقعت على صفحة أخرى فخيل أنها ميم!

(2) أغلب ظني أن الكراسات كلها كانت تحمل على رأسها رقم الكراسة، لكنه عند تجليد الكتاب وتقطيع الأوراق اعتدى على الطرر المتطرفة، وهذا تساهل آخر يضاف الى التساهل في تخييط الكتاب على غير صواب.

(3) أنظر ترجمة دوزي المجملة للفصل الذي يبتدىء من صفحة 50 الى 61 من ابن صاحب الصلاة في كتابه Recherches sur L'histoire et la Littérature de L'espagne pendant le moyen âge p.380

(4) أنظر ويسي عند نقله عن صفحة 62 من ابن صاحب الصلاة التي تحمل بعد التجليد رقم 57.

بعض فصول الكتاب عـرر بهم التجليد الخـاطىء فراحـوا يرقمـون تبعاً لما هو موجود ، وقد يكون هذا « القلق » في الكتاب مما «زهد»[1] في أسلوبه والابتعاد عن دراسته .

ولكثرة العناية بالكتاب تصدى بعض المتقدمين لاختصاره إذ كان يـرى أن الكتاب في استطراداتـه وإحالاتـه يخرج أحيـاناً عن المـوضوعيـة المنشودة . وكـان الـذي تولى هـذا قدوة البلغـاء وعمدة العلماء وصدر الجلة الفضلاء أبـو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي مؤرخ ميورقة وقاضي الرباط ومكناس (ت 658) فقد حرر اختصاراً سيلاً لتاريخ ابن صاحب الصلاة ، لكنـه ضاع في جملة ما ضاع من تراث[2] .

وإن إلقاء نظرات على الكتاب لمغرية حقّاً بمحاولة الاشتغال به ، فهو زاخر بما يرضي كـل الهوايـات ، فقـد ذكـر الأستـاذ بلنثيـا في كتـابـه تـاريـخ الفكـر الأندلسي ، أن المن بالإمامة مهيّأ للطبع من قبـل الأستـاذ غـارسيا غـوميث بيد أن اصطلاع هذا السيد بمهامه الدبلـوماسيـة ، حـالت دون تحقيق هذه البغيـة ، فيما بلغني . . وقـد ذكر لي الأستـاذ جيمس المستشرق الأنجليـزي المشهور « أنـه كان ينوي هو الآخر نشر الكتاب وأنه انتسخه بـالفعل ، ولكنـه على حـد تعبير هـذا الأستاذ الجليل ـ لم يرض أن يكتفي بنشر الكتاب للناس دون تقديم ولا تعليق ، وحيث أن تحقيق الكتـاب كان يتـطلب منـه استنفـاذ وقت كبير ، فقـد عـدل عن الفكرة » وقد علمت أن الأستـاذ دي جياكمـو كان يعتـزم نشره كـذلك وأنـه قد استنسخه لكن ظروفاً خاصة ذهبت بآمال دي جياكمـو . . ، ثم بلغني أن بعض السادة تحركت همتهم لنشر المخطوط[3] .

---

(1) Historia politica del imperio almohade, pp.225 - 226

Dozy : Recherches , p 372

(2) المقري : نفح الطيب مطبعة القاهرة 1949 جزء أول صفحة 293

بوجندار : الاغتباط (مخطوط) الخزانة العامة رقم 1287

Pons Boigues : No 250 . Melchor Antuna , pp 25 - 38

(3) كنت أمام كل هذا متردداً في الاشتغال بالمخطوط ولذا فقد كنت أستشير بعض الزملاء ممن يهتمون بالتاريخ ، وقد تلقيت رسائل في هذا الصدد من مختلف الجهات وكلها حث وتشجيع ، وقد جاء في رسالة للأستاذ ويسي ميرانده « انك بمبادرتك الى نشر هذا المخطوط ستسد فراغاً كبيراً في المكتبة

أما عن وقت تبييض الكتاب من طـرف المؤلف فيتأكـد انه لم يتم في وقت واحد ، ولكنه ـ بعد سنة 571 ـ[1] أخذ يكتب في كل مناسبة طرفاً منه ثم بعيد سنة 594 لما تفرغ للإمامة والخطبة بالجامع الكبير جمعه الجمع النهائي ، ونعتقد أن ذلـك تم باشبيليـة . أما عن النسخة التي وقفت عليها بـاكسفورد فيترجح لدي أنها نسخت بالمغرب[2] وقد كانت ملكاً بالشراء لأحد الفضلاء ممن يحمل اسم « علي بن عبد الله بن عـلي » كما يـوجد ذلك بـطرة في آخر الكتـاب . ثم أمست ملكاً للاسقف مارش[3] الذي وهبها ضمن كتبه لخزانة البـودليان ، وقـد ذكـر لي البروفيسـور بيستون Beeston الاستاذ بجامعة أكسفورد أن الأسقف

ـ العربية ، فقد أتيحت لي الفرصـة ـ يقول الأستاذ ويسي ـ لان استفيد من هذا الكتاب كثيراً في تأليفي ، (التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية) » .

وجاء في رسالة للأستاذ الكبير محمد العابد الفاسي محافظ خزانة جامع القرويين : « وبالكتاب المشار اليه في طليعة القائمة الجديرة بالنشر والتحقيق ، ومن لها غير الأستاذ عبد الهادي التازي المحقق صاحب القلم السيال ، ولقد وجدته كتاباً غريباً في بابه خاصة من ناحية الأدب والوقائع . . من أجل هذا لا أزال ألح على أخوتكم في القيام بهذه العملية وأخشى أن يتسارع اليها من لا يحسن ولا يتقن » .

بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس صفحة 242 .

راجع ما قلناه لدى حديثنا عن بواعث الرحلة الى أكسفورد ص 35 - 36

(1) الذي جعلنا نفترض انه لم يبدأ بتبييض كتابه إلا بعد هـذا التاريخ انه يبعث أبا حفص عمر بن يحيى الهنتاتي بالمرحوم من أول الكتاب (ص 80 . ومعلوم أن هذا توفي سنة 571 . ابن عذاري : البيان المغرب ص 101 . وانظر كذلك ص 289 - 337 - 345 - 382 . من المن بالإمامة

(2) ذلك لأنها مكتوبة بنفس الشكل الذي كتبت عليه سائر المخطوطات المغربية التي وقفنا عليها ، وفي أيسر ما يطبع هذا الشكل ان تجد ضبط الحروف فيه يخالف قليلاً ما عهدناه . فمثلاً نعهد الآن نقاط الحروف توجد مباشرة على أو تحت الحروف وفوق النقاط الشكلة من فتحة أو كسرة لكن الأمر في المخطوطات المغربية على عهد العصور الوسطى يخالف هذا فالشكلة تباشر الحرف والنقطة فوق الشكلة هذا علاوة على وجود أشكال « الخط الفاسي » على الصفحة الأولى والأخيرة . أرجوزة ابن طفيل في الطب بخزانة جامع القرويين تحت رقم 3158 / 40 ل . العقيلي : سلك فرائد اليواقيت الطبعة الحجرية فاس ص 28

(3) هو نارسيوس مارش (Narcissus Marsh) المولود سنة 1638 وقد كان من الباحثين في الشؤون الشرقية .

Richard Bagwell Marsh (Dictionary of National Bilgraphy)

اشترى بعض مخطوطاته من مكتبة المستشرق الهولاندي كـوليوس (Golius) ، وقـد عاش هـذا بالمغـرب عام 1032 — 1623 ضمن بعثة دبلوماسية هولاندية برئاسة ألبير رويل (Albert Ruyl)[1] .

ومن المحقق ان الكتاب لم ينسخ بخط المؤلف نفسه لأن الخط الذي كتب به العنوان وكتبت به بعض الطرر هو نفس الخط الذي كتب به باقي الكتاب ، وورقة العنوان تدعو للمؤلف برحمة الله مما يؤكد انها كتبت بعد وفاته ، ومع هـذا فإن الذي انتسخها ليس ناسخاً عادياً ، ولكنه يحتاط في أغلب الأحيان : تارة بتصحيح الكلمة المحرفة بطرة[2] الورقة ، وأحياناً بترك المكان شاغراً إذ لم يتأكـد من اللفظ الذي[3] ينقله ، وفي بعض المرات يعلق تعليقاً مفيداً ولكن خفيفاً على بعض المقاطع الشعرية[4] . والناسخ مع هـذا وقع ـ ولكن نـادراً ـ في بعض أخطاء الرسم[5] أو هفوات تبدو في مخالفة مذهب الجمهور في النحـو أو في بعض الأسماء أو في تكرار السطور .

(1) كانت للعاهل المغربي زيدان بن المنصور السعدي علاقات جدّ وثيقة بالولايات العامّة (هـولاندا) ويعتبر المغرب في صدر الدول التي ساعدتها على بناء استقلالها عن أسبانيا ، ونتيجة هـذا الإتصال تعرضت الثغور المغربية لحملات هوجاء من طرف هذه الأخيرة ، وقد اتجه تفكير زيدان لبناء ميناء بعصبة شمال مدينة الجديدة ، على مقربة من (الوليدية) التي تنتسب لاسمه الوليد . فكان هدف السفارة درس الموضوع في عين المكان ، وهكذا وجدنا (جاكوب فان كوول) أو كـوليوس الـذي كان يقرأ العربية ويكتبها والذي نال حظوة لـدى زيدان وتمكن من لفت عليها فـاس اليه ، وكـان المقام بالنسـبة اليه فـرصة للحصـول على بعض المخطوطات المغربية التي كـان يستعين بها أثناء أساديه العربية في جامعة ليدن . وقد كان مما قام به تخطيط تصميم للقصر الملكي بفاس مما فيه قبة الذهب على نحو ما كان يوجد بقصر البديع في مراكش .

Windus a Journey to Mequinez, p 219

Les Sources Inédites de L histoire du Maroc (Saadiens (0 1, T 3 p 227

Jacques Caille Ambassade et missions marocaines au pays - Bas **Hespéris - Tamuda** , vol IV fasc I

- عبد الهادي التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب وطبعة فضالة 1406 = 1986 ج 1 ص 215

(2) ص 1280 من متن المن بالإمامة .

(3) انظر صفحة 45 - 49 - 51 - 296 - 331 .

(4) انظر صفحة 29 من المن بالإمامة .

(5) من أخطاء الرسم : كتابة أربعة وسبعين عوضْ أربعة وستين ص 80 - 81 ودينر عوض دينار ،

أسلوبه ومنهاجه :

وقد استطاع ابن صاحب الصلاة أن يبرهن في مقاطع كتابه على أنه المؤرخ والأديب معاً[1] ، فقد اتى بالبديع من القول ، لكن تعابير البلاغيين تجرفه في كثير من الأحيان ولذلك فهو يسجع ويقتبس ويلمح ، وقد يتم هذا غالباً[2] دون تكلف ولا تعنت ، والمؤلف ـ وهـو متضلع من علوم الأولين ـ كثيـراً مـا يعنى بضرب مثل أو تلويح لحادثة ، أو تاريخ قديم[3] حتى يعطي الدليل على أنه قدير بالحاق هذا بذاك والمقارنة بين الأشياء ، والحكم عليها ، وبذلك يبرهن على هذه الهواية الأدبية التي تطغى عليه في تاريخه ، وهو لايلبث هائماً بإيراد الشعر في كل مناسبة تسنح ، ثم هو ينتقي ـ أحياناً ـ منه ما يراه سائغاً عذباً ويتفق مع ميوله ، ويلاحظ المتتبع لغضون الكتاب أن ابن صاحب الصلاة ضابط جداً لما قال ولما يقول وسيقول في مؤلفاته ، ولـذلك فـها يفتك متثبتاً في كلامه ، يحكي الحقيقة التاريخية في هذا الفصل ولا يتردد أن يعزز كلامه بقوله مثلاً : « على ما ذكرته » أو على « على ما أذكره » . إن هذه اللازمة قد تكثر في بعض الأحيان لقد بلغت في هـذا السفر الثاني بالـذات زهاء الخمسين إحالـة[4] ! ومع هـذا فإن هـذه

= (الغزل) عوض الغزال (ص 210) . والمصحف عوض المصحفي ص 305 ، ورمضان عوض شعبان (ص 327) ومما خولف به مذهب الجمهور : قوله « استولوا الموحدون » (ص 199) « ولا طالت مدته» (ص 94) باستعمال لا على الماضي والقصد غير دعاء . ومن تحريف الأسماء أبو إسحق إبراهيم عوض أبي إبراهيم إسماعيل ص 334 . ومن التُكرار ما ورد في صفحة 238-346 .

(1) ينعته ابن عبد الملك بأنه « الأديب الكاتب المحسن ، وبأنه عني بحفظ التواريخ وتقييدها »

(2) نقول غالباً لأنه في بعض الأحيان لم يسلم من الإفراط في استهلاك الكلمات الفائضة التي لا تشعر بأي داع لحشرها سوى أن لها قافية استهوته . راجع الورقة 60-80-164 171 173 175 232

Dozy Recherches Page 372

(3) راجع صفحة 38 - 92 - 94 - 96 - 129 - 215 - 304 - 322 - 341 - 384

(4) انظر مثلاً صفحة 22ـ39ـ41ـ45ـ47ـ49ـ50ـ53ـ61ـ64ـ65ـ69ـ77ـ80ـ91ـ92ـ93ـ110ـ111ـ117ـ121ـ144ـ154ـ161ـ187ـ214ـ215ـ232ـ234ـ235ـ244ـ245ـ244ـ250ـ257ـ259ـ260ـ269ـ270ـ272ـ300ـ306ـ311ـ329ـ334ـ337ـ338ـ375ـ377ـ379ـ386

الإحالات ـ سواء منها ما كان إحالة على كتابه ثورة المريدين ، أو كتابه المن بالإمامة ـ أحياناً نميط اللثام عن بعض الأسرار التي ظلت غائبة عنا ، فقد كان في أوائل السفر الثاني يشير الى بعض الأحداث ويذكر بأن الكلام عنها قد سبق فاستفدنا بذلك بعض محتويات السفر الأول مما جرى قبل سنة 554 ، وكذا كان الشأن في آخر السفر المذكور عندما أخذ يستعجل ذكر بعض المسائل ويطمئن القارىء بأن تفصيلها سيأتي . فبالتتبع عرفنا أيضاً بعض محتويات السفر الثالث مما حدث بعد سنة 569 هذا الى تصيدنا لبعض العناصر التي احتواها كتاب ثورة المريدين[1] .

والمعلومات التي يتضمنها كتاب (المن بالإمامة) على أقسام ثلاثة : معلومات استقاها من الرواة الذين تحدثوا اليه ، وهؤلاء طائفتان فيهم من ذكر اسمه كأبي القاسم بن أبي هرون ، وأبي محمد سيد راي ابن وزير ، وأبي العلاء بن عزون[2] ، بيد أن في رواته من ظل مجهول الاسم ، ففي ثماني[3] عشرة موضعاً نقل عن « الراوي » ، ومن المرجح أن الراوية في الثماني عشرة مرة كان متعدداً ، ففي كل حادثة كان يروي عمن يوليه ثقته[4] .

أما القسم الثاني من معلوماته ـ وهذا أهم ـ فإنه شاهد له هو بنفسه ، ولذلك فهو يقول بين الحين والآخر : « قال المؤلف .. أو قال المؤلف عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة » وكثيراً ما يكون في هذه الحالة قد عاش الظروف التي يحكي عنها سواء في العدوة أو الجزيرة وهو عندما يحكي تلاحظ الأمانة في قوله ، والنزاهة في أحكامه ، ويكفي أن نسجل عليه أنه كان في بعض

---

(1) راجع صفحة 3 - 20 - 54 - 230 - 249 - من المن بالإمامة .
(2) انظر صفحة 38 - 78 - 139 - 236 - 352 من المن بالإمامة .
(3) ص 5 - 21 - 29 - 39 - 44 - 74 - 76 - 79 - 81 - 83 هذا وقد ذكر ابن عبد الملك في الذيل والتكملة أن ابن صاحب الصلاة روى عن أبي عبد الله بن عميدة وأبي علي الأشيري .
(4) ذكر من شيوخ ابن صاحب الصلاة على ما قاله ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة ابو القاسم محمد بن ثوابة الاشبيلي الذي يمكن أن يكون من المقصودين بكلمة الراوي . الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ـ تقديم الدكتور بن شريفة ـ مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية ، سنة 1984 صفحة 79 .

الحالات يقف موقف المنتقد الذي لا يخشى اللوم ولا يتهيب المصير[1] ، ولقد اعتمد في ثلاث عشرة مرة[2] على مشاهداته الخاصة ، وكان في هذه المرات كلها دقيق الملاحظة ضابطاً للحوادث . أما القسم الثالث فهو ما ينقله عن بعض المؤلفين المعروفين كابن حيان[3] وابن العربي[4] أو عن بعض الوثائق الرسمية للدولة مما استأثر به على سائر المؤرخين[5] .

ويظهر أن عبد الملك كان يحاول أن يكتب تاريخه مرتباً سنة سنة على طريقة الطبري[6] ، ولهذا نراه في كثير من الأحيان يعنون هكذا : (وفي سنة كذا . . .) لكنه ـ وقد اصطدم أحياناً بمساوىء طريقة السنويات ـ وجد نفسه مضطراً لتناسي هذه الترتيبات ، وذلك في حالة ما إذا كان هناك قطع للحوادث قد يسيء الى الغرض المتوخي من تسلسلها . ولهذا نلاحظ أنه في أوائل هذا السفر الثاني مثلاً لم يلتزم هذه الطريقة إذا كان من شأن ذلك أن يحمل القارىء قطعات ـ قد تضنيه ـ في سبيل الإتيان على تمام الحادثة .

ولم يسلم المؤلف مما يقع فيه كثير من المؤلفين القدامى ممن يستسلمون لتداعي الأفكار فيستطردون بذكر بعض الأشياء في غير مكانها لمناسبة ما من المناسبات ، وقد شعر في أغلب هذه الاستطرادات بأنه يأتي شيئاً قد لا يغفره

---

(1) يعتقد الأستاذ دوزى ان ابن صاحب الصلاة كان يغدق الاطراء على الموحدين دائماً ، لكن بعض مقاطع الكتاب لا تسمح بقبول هذا الاعتقاد . راجع ص 351 - 352 .
(2) ص 21 - 102 - 121 127 - 145 - 152 - 197 - 229 - 249 - 271 - 300 - 334 - 336 ـ من المن بالإمامة .
(3) راجع صفحة 63 من المن بالإمامة .
(4) راجع صفحة ص 111 من المن بالإمامة .
(5) استأثر ابن صاحب الصلاة بذكر رسائل موحدية لـ (يوجد لها ذكر في غير كتابه كما ستحدث عن ذلك) . ولا تخفى قيمة هذه الرسائل من الوجهة التاريخية فإنها الشيء الوحيد الذي كتب مجرداً عن « الغرض » الذي قد يؤثر على المؤرخ ...
(6) توفي الإمام الطبري سنة 310 (923) وقد اشتهر بأسلوبه الذي يتبع فيه طريقة السنويات . أنظر كتابه (تاريخ الرسل والملوك)

القارىء ، ولذلك فهو - أكثر من مرة - يقول كالمعتذر : « قال المؤلف : وفي المثل الحديث شجون[1] . . . » ومع كل هذا فقد كان لاستطراده فائدة ، إذ أنه ألقى الضوء على معلومات ظل المؤرخون يتعطشون اليها منذ القدم[2] ، ولا ينسى ابن صاحب الصلاة عندما يستيقظ من استطراده أو استرساله أن ينبه القراء باللازمة السائرة في مثل هذه الأحوال . « رجع الخبر » « فلنرجع الى ذكر . . . » وقد « رجع » إلى أصول حديثه في عشر مرات[3] .

(وكتاب المن) - تقليداً لبعض من سبقه من المؤرخين - حرص على أن يذكر التاريخ القمري مقروناً - في كثير من المرات - بالتاريخ الجولياني ، فهو في أوائل الكتاب يذكر أن الجمعة 10 محرم 557 ، توافق 26 يناير العجمي ويستمر في ذكر الموافقات الى أواخر الكتاب إلا أن ابن صاحب الصلاة في جل هذه الموافقات لا يتفق مع الجداول الموضوعة في هذا الصدد[4] وقد حاولت بشتى الطرق أن أصل الى « تعزيز » أرقامه ، لكنه كان بالفعل متساهلاً في كثير هذه الموافقات .

والمتتبع للغة ابن صاحب الصلاة سيعثر أحياناً على بعض الألفاظ الأجنبية كالبوح[5] والقومس أو القمط[6] والمركطال[7] ، وسيجد مرات أخرى ألفاظاً

(1) راجع صفحة 334 - 335

(2) راجع مثلاً الاستطراد الخاص بذكر تاريخ مدينة الرباط وتاريخ مسجد ابن عدبس باشبيلية .

(3) راجع صفحة 8 - 39 - 45 - 65 - 93 - 104 - 254 - 269 - 324 - 342

(4) ابرز هذه الجداول وأكثرها رواجاً ما وضعه الدكتور كاطنوز

H. G. Cattenoz : Tables de concordance de eres chretienne et Hégirienne .

(5) أصلها بالأسباني (El Baboso) بمعنى الكثير اللعاب . وقد كان لقباً لفرناندو الثاني (Fernando II de Lion)

(6) القومس كلمة مشتقة من اللاتينية Comes وهي الكونت ، وأحياناً يعبر عنها بالقمط ويجمع على قوامس : أشباخ : ترجمة عبد الله عنان ص 61 - 71 - 127

(7) المركطال : أصله باللاتيني Mercatellum وهو السوق الذي تباع فيه الثياب المستعملة

«بربرية» كالمزوار والغفارة «ومنتيقبمي»[1]، على أنه يردد ألفاظاً مغربيةً ما تزال إلى الآن محتفظة بجدتها في الاستعمال المغربي كالظهير والمخزن والرقاص والمحلة[2] .

* * *

ونظراً للقيمة التي يتمتع بها الكتاب فقد كان مرجعاً لجل المؤرخين المتقدمين منهم والمتأخرين، وهكذا نرى كلاً من ابن القطان في نظم الجمان[3] وابن عذاري في البيان المغرب[4] ، وابن الآبار[5] ، وابن عبد الملك في الذيل والتكملة[6] ، وابن أبي زرع في الأنيس المطرب[7] والجزنائي في زهرة الآس[8] ، وابن الخطيب في الإحاطة[9] ، وابن خلدون في العبر[10]، والمقري في نفح

(1) المزوار : رئيس فرقة ، والغفارة : نوع من الكساء ، ومنتيقبمي بمعنى : باب الدار

Dozy : sup. aux dic. I page 613 II, page 218 Laouste : Note et choses berbères page 1 .

(2) الظهير بمعنى المرسوم الملكي . والمخزن بمعنى الحكومة ، والرقاص بمعنى ساعي البريد والمحلة بمعنى الجيش . راجع صفحة 9 - 19 - 64 - 107 - 288 من المن بالإمامة . ابن زيدان : كتاب العز والصولة في معالم نظم الدولة . الاول مطبوعات القصر الملكي 1961 .

(3) نظم الجمان لابن القطان نشر الدكتور محمود علي مكي ص 39 وما بعدها .

(4) يعتبر ابن عذاري أكثر المصادر استمداداً من ابن صاحب الصلاة ، فقد ذكره عند الصفحة الأولى من « اختصاره » منذ احداث سنة 534 ، واستمر ينقل عنه ، ويكاد في بعض المقاطع يذكر بالحروف ما حبّره ابن صاحب الصلاة دون ذكر اسمه كأنه كان يخجل من كثرة ترديده ، ولذا فإننا نرجح أن ابن صاحب الصلاة كان العمدة الأولى لصاحب البيان المغرب في جل ما ذكر عن أيام الموحدين .

(5) نقل ابن الآبار في بعض التراجم عن ابن صاحب الصلاة في الحلة السيراء، رقي (التكملة) رقم 1394 نشر كوديرا ورقم 162 مخطط ورقم 1879 نشر العطار .

(6) السفر الرابع ، مخطوط الخزانة العامة . الرباط رقم 2646 : الورقة رقم 15 .

(7) الانيس المطرب (الرباط 1936) ص 122 - 155 - وطبعة فاس ص 127 - 138 .

(8) زهرة الآس طبعة الجزائر نشر بيل ص 74 .

(9) مخطوطة الاسكوريال رقم 1673 ورقة 158 أ . السفر الثاني . وذلك عند ترجمة محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد ، وقد أضاف ابن الخطيب قائلاً « ذكره ابن صاحب الصلاة في تاريخه في الموحدين » وقد كان هذا المخطوط متملكاً للعاهل المغربي زيدان ابن أمير المؤمنين احمد المنصور الذهبي وأمسى كما ترى في الاسكوريال .

(10) بالرغم من أن ابن خلدون لم يذكر ابن صاحب الصلاة كراوٍ من الرواة الذين اعتمدهم لكنه=

الطيب[1]، وصاحب الحلل الموشية[2] كذلك ، وغير هؤلاء[3] ، نراهم يعتمدونه ويذكرونه كمرجع من مراجعهم ، وبالرغم من أنه لم يصل لنا إلا السفر الثاني فإن من المؤكد أن في المؤرخين المتقدمين من رأي السفر الأول والثالث بدليل ما ينقلونه عن ابن صاحب الصلاة مما لا يوجد له أثر في السفر الثاني[4] .

وإلى جانب أولئك الذين رجعوا إليه من المتقدمين نرى طائفة هامة من المستشرقين ينتهون إليه ويولونه كبير عنايتهم تارة بمحاولة التعريف بالكتاب ومؤلفه ، وتارة بترجمة بعض مقاطعه ، ولهذا نرى أولئك من المستشرقين الهولاندي دوزي[5] (Dozy)، والمستشرق البرتغالي دافيد لوبيس[6] (David Lopez)، وكوديرا[7] (Codera)، وميشل أماري[8] (Amari)،

= بعض المعلومات التي استأثر بذكرها ابن صاحب الصلاة فيما نقله القرطاس خاصة حول وفاة المهدي . ابن خلدون سادس ص 472

Gayangos p. 411

(1) المقري : نفح الطيب (ثالث) مطبعة السعادة 1949 ص 100 .

(2) الحلل الموشية نشر علوش ص - 85 - 95 118

(3) ليس صحيحاً أن ابن مرزوق استمد منه في « المسند الصحيح الحسن » (مخطوط رقم 666) فقد وقفت عليه في الاسكوريال ووجدت انه ينقل عن ابن عبد الملك وليس عبد الملك ، كما وليس صحيحاً ان الروض المعطار استفاد منه لأن حديثه حول بعض الأشياء - كمدينة جبل طارق - حديث من لم يقف على المخطوط .

(4) راجع التكملة لابن الأبار ، وابن عذاري والأنيس المطرب لابن ابي زرع والحلل الموشية والنفح في الصفحات الماضية .

(5) ترجم دوزى قطعة من المخطوط في كتابه :

Recherches sur ce qui se passa à Grenade en 1162, pp. 364 - 388,

(6) وذلك في كتابه

Os Arabes nas obras de Alexandro Herculano, p. 123

(7) وذلك في كتابه عن انحلال الدولة المرابطة .

Decadencia y desaparicion de los almorvides en Espana

(8) وذلك في المكتبة الصقلية العربية Bibliotecа Arabo Sicula I XLIV

ودو كايانكوس[1] (de Gayangos)، والأب ميلشور انطونيا[2] (Melchor Antuna)، وباباس[3] (Babas)، وكارسيا كومير[4] (Garcia Gomez)، ووبسي ميراندا[5] (Huici Miranda) .

المن بالإمامة والمؤلفات المعاصرة :

ولا بد للباحث أن يلتفت الى ما حوالي ابن صاحب الصلاة من مؤرخين أو جغرافيين عاشوا نفس الظروف التي عاشها ليتأكد - بعد المقارنات والمفارقات - من قيمة الكتاب التاريخية والجغرافية

وأول ما نريد المقارنة به كتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي ، لقد ذكر صاحب النزهة في معرض حديثه عن شبكة الطرق التي كانت تربط بين أجزاء المغرب وأفريقية والأندلس في العصر الوسيط ، أقول ذكر أسماء أمكنة كانت غريبة بالنسبة الى الذين يهتمون اليوم بدراسة المدن الأثرية ، لكن (المن بالإمامة) ردد نفس تلك الأسماء فاستطاع بهذا أن يؤكد حقائق جغرافية فريدة[9]

(1) في ترجمته الانجليزية لنفح الطيب المجلد الثاني صفحة 519

(2) وذلك في كتابه (حملات الموحدين في اسبانيا) و (أشبيلية وآثارها العربية)

Campanas de los Almohades, en Espana - Sevilla y Sus monu mentos arabes 1930, p. 160

(3) (Al - Andalus) vol VII 1942 p. 74

(4) مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد عدد 1953 ص 25 - 32 .

(5) كان ويسي آخر من استفاد من ابن صاحب الصلاة استفادة جيدة وذلك في كتابه الذي صدر مؤخراً بعنوان : Historia Politica del imperio Almohade

هذا وقد استفاد من المن بالإمامة باحثون آخرون بواسطة هؤلاء، وذلك كالأستاذ بروفنصال في حديثه عن ابن عبدون انظر (Journal Asiatique) عدد أبريل 1934 صفحة 185 - 186 والأستاذ هنري طيراس في تاريخه عن المغرب ، ودوفردان في تاريخه عن مراكش

Deverdum : p. 202

(6) راجع مثلاً ما يتعلق بالطريق التي تربط بين مدينة مراكش ومدينة سلا فستجد من بين الأمكنة تونين وتوقطين والجبيل وقرية مكول ، مما لم يوجد سوى في ابن صاحب الصلاة والأمر كذلك فيما يتعلق ببعض الأقاليم الأندلسية وبعض الحصون والقرى هناك . الأدريسي : النزهة ص 69 — 70 — 173 — 177

تأكيد من سلك المراحل على قدميه ، وبعد هذا نتناول أخبار المهدي عند البيذق لنجد أن سائر المعلومات التي التقى فيها بابن صاحب الصلاة كلها كانت كأنها مكتوبة بمداد واحد وقلم واحد[1] ، وبعد هذا نتناول كتاب الاستبصار المكتوب حوالي سنة 587 فسنجد أن الأوصاف التي أعطاها لبعض الأمكنة تتفق تماماً مع ما يحكيه ابن صاحب الصلاة ونذكر على الخصوص ما يتعلق بمدينة مراكش وقنطرة سلا والرباط[2] ، ولو أنك أيضاً قارنت بين المعلومات التي تضمنتها الرسائل الموحدية التي نشرها بروفنصال ، والتي عالجت نفس الموضوع الذي تحدث عنه ابن صاحب الصلاة لوثقت بأنه كان يطلع عليها قبل ان يتناول قلمه لتدوين تاريخه[3] .

لكن الذي نعجب له حقيقة هو وجود بعض الخلاف في الرواية التاريخية بين المراكشي في (المعجب) وبين ابن صاحب الصلاة في (المن بالإمامة) مع أنهما متقاربان كما لا يخفى ، ومن أمثلة ذلك ما يتعلق بأمر اقصاء محمد بن عبد المؤمن عن ولاية العهد . فقد نص ابن صاحب الصلاة على أن عزله عن الولاية كان في حياة أبيه وبأمر منه[4] لما ضبط عليه من سلوك لا يليق ومقام الخلافة ، وهكذا « أسقط من الخطبة » ابتداء من يوم الجمعة الثاني من جمادي الأخيرة من عام 558 ، لكن المعجب ينص على أنه «لما مات عبد المؤمن اضطرب أمر محمد هذا واختلف عليه اختلافاً كبيراً . فاتفقوا على خلعه في شهر شعبان من هذه

(1) راجع مثلاً ما يتعلق بعادة قراءة الحزب والتمييز ، وبناء جبل طارق . البيذق 48-114-116-121 المن بالإمامة 17-18-88 145

(2) راجع صفحة 140-241-208-209 من الاستبصار وص 143-209 من المن بالإمامة

(3) راجع مثلاً الحملة ضد شانت منوس ابي مردنيش التي تمت سنة 568 والتي وصفها كل من ابن صاحب الصلاة وابي القاسم القالمي منشيء الرسالة الثانية والعشرين ص 121 - 122 - 123 من الرسائل ، وص 179 - 378 من المن بالإمامة وكذا راجع التعريف بالسليطن امير النصارى كذلك ص 71 - 75 - 77 من الرسائل ، وص 230 من المن بالإمامة ، هذا ولا يفوت التنبيه على ان الأستاذ بروفنصال قدّم الرسالة عن محلها إذ جعلها في أحداث سنة 555 ، وقد علمت ان الحملة على عظيم ابلة بالكتابية كانت سنة 568

(4) وهذه هي الرواية التي اعتمدها القرطاس وابن الأثير . ابن صاحب الصلاة ص 97-80-81 .

السنة[1] » هذا إلى مخالفة المعجب لابن صاحب الصلاة في نسبة بعض الشعر للخليفة ، وعند تعديد أولاد الخليفة[2] كذلك .

وقد فضلنا أن لا ننزل في المقارنة بين المن بالإمامة ونظم الجمان ، والبيان المغرب ، والأنيس المطرب ، ومسالك الأبصار والحلل الموشية بالرغم من وجود بعض الفروق البسيطة في بعضها[3] وذلك حرصاً على التزامات المقارنة مع المعاصرين أو الذين أوشكوا أن يكونوا مقاربين .

جهاز الدولة ونظامها من خلال الكتاب

والمتصفح لكتاب المن بالإمامة سيلمس نواحي جد هامة من تاريخ دولة الموحدين ظلت في معظمها مجهولة أو تكاد من لدن الذين يتطلعون لأخبار بني عبد المؤمن ، فمن خلال الكتاب نقف على نظام « المخزن »[4] على ذلك العهد ، فنظام المراتب «الهيرارشية » (Hierarcjie) استمر محترماً معمولاً به عند الخلفاء المتعاقبين ، فالسادة ـ وهم أعضاء الأسرة الحاكمة ـ يُعَزَّزون[5] في ولاياتهم دائماً بالشيوخ[6] والحفاظ[7] ، وأهل الخمسين[8] ، وأبناء الجماعة[9]

(1) وهي الرواية التي اعتمدها ابن خلكان . المراكشي ص 236 - 245 .

(2) ينقص المراكشي من العدد واحداً ويزيد بعض الاسماء كما انه نسب قصيدة لعبد المؤمن مع ان قائلها ابن عياش في ايام ابي يعقوب المعجب 225 - 226 المن بالإمامة 276 - 278 وعندي ان ابن صاحب الصلاة يجب ان يظل هو العمدة نظراً لكون المراكشي كتب مؤلفه خارج المغرب الأمر الذي استهدف به الى الغفلة والنسيان

(3) ينص ابن صاحب الصلاة مثلاً عند الحديث عن مسجد اشبيلية ان زنة العمود مائة وأربعون سنيا يذكر ابن أبي زرع اربعين ربعاً ، وكما ينص صاحب الحلل مثلاً أن مسجد اشبيلية شيد سنة 572 لا سنة 567 كما يؤكد ابن صاحب الصلاة . المن بالإمامة ص 339 ، القرطاس 186 ، الحلل 131 - 132 .

(4) أنظر صفحة 305 من المن بالإمامة

(5) صفحة 255 - 256 - 257

(6) صفحة 13 - 58 - 144 - 147

(7) صفحة 4 - 41 - 145 - 146 - 147

(8) صفحة 146 - 256 - 261 - 248

(9) صفحة 22 - 260 313 314